

فاجعة الموت سامح عبدالرحيم الصحفي



يقول الله تعالى " كل نفس ذائقة الموت ثم إينا ترجعون"، كم في الآفة من تعزية لكل من فُجع بفقد حبيب أو قريب بأن هذا هو المصير وإليه المسير، يقول الشاعر: هو الموت ما منه ملاذ ومهرب .. متى حُط ذا عن نعشه ذاك يركب .

الموت مصير محتوم يستشعره الإنسان عند رحيل من يحب في رحلة وداع لا عودة فيها، فيتذكر أيام مضت إنسابت من بين أصابعه دون إنتهازها بالقرب منه، وكأنها المرة الأولى التي يخبره فيها الموت بقيمة الوقت ويلقنه درساً قاسياً علّه يفيق ويستدرك ذلك مع ما تبقى له من أحباب حل بعضهم في خريف العمر.

تنتاب المرء حالة من الذهول عند سماع خبر وفاة من لهم في شغاف القلب مكان، وسرعان ما يبدأ حينها اللسان يلهج بالدعاء وطلب المغفرة والنعي وتلقي النعي فيه ، وسط تأرجح بين الشك واليقين في حقيقة الخبر.

أما في سرادق العزاء فيكثر الدعاء والسلام ومواساة المعزين الذين تضيق بهم أروقة المكان بينما يظل البال مشغولاً بالفقيد ، مستحضراً ما طُبع في الذاكرة من مواقف وأحاديث سُمعت منه أو عنه.

وفي هكذا مصاب جلل لا يتوانى الأصدقاء والزلاء ممن هم على دراية بتلك المكانة للفقيد عند ذويه بتقديم التعازي ومشاطرة ألم الفراق، بل يتكبدون في سبيل ذلك عناء السفر، في حين يعتذر آخرون ممن أشغلتهم دنياهم عن الحضور والمشاركة بإتصال أو برسالة.

لقد ألم رحيل جدي الشيخ فلاح بن عبيد "رحمه الله وأسكنه فسيح جناته وجميع موتي المسلمين"، كل ذويه ومحبيه الذين ترك فيهم طيب الأثر .. رحل - رحمه الله - عن دنيا لم يكن زائداً عليها، حيث عاش فيها مهيباً عالي الشأن بمكارم الخصال ومحامد الفعال.

إن في خطف يد المنون - بقضاء الله وقدره - لمن حولنا عبرة تتجدد فيها الدعوة بالتزود بخير الزاد ليوم المعاد، وقد حثنا الله عز وجل بهذا التزود في محكم التنزيل حينما قال: "وتزودوا فإن خير الزاد التقوى"، وصدق القائل :
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى .. ولا قيت بعد الموت من قد تزودا .

ندمت على أن لا تكون كمثله .. وأنت لم ترصد لما كان أرصدا .

سامح عبدالرحيم الصحفي